

كيف نربي المرأة التي تربينا

التربية كالصحة ليس وراءها غاية . فنحن لانحث أبناءنا على التزام الاعتدال في الطعام أو ممارسة الرياضة أو الاستحمام لكي يكونوا أقوى أجساما من غيرهم أولكى ينجحوا في أعمالهم بل لكي يحصلوا على الصحة فقط . لأن الصحة تطلب لذاتها .

وكذلك الشأن في التربية فإن كل إنسان يجب أن يكون حاصلًا على أفضل قسط ممكن منها . والتربية هنا غاية في ذاتها . فنحن نطلب الصحة لكي نتجنب المرض وكذلك يجب أن نطلب التعليم — وهو بعض التربية — لكي نتجنب الجهل . لأن الجهل والمرض من المساوئ التي يجب تجنبها . وصحيح أن الصحة قيمتها في النجاح . وكذلك قيمة التربية لا تنكسر في تدريب الذهن على الملاحظة وزيادة المعارف . ولكن الصحة والتربية كلتاهما تطلب لذاتها لأنها بعض الحياة الطيبة .

ولكن لما كان لكل مجتمع أسلوب في الحياة يختلف عن الأسلوب السائد في المجتمعات الأخرى فإننا بعد أن نعم الغاية الكبرى من التربية ونقول إنها متعة أو حق أو بعض الحياة الطيبة نعود فننظر إلى التخصيص ونقول إن التربية يجب أن توائم بين الفرد وبين الوسط (المجتمع) الذي يعيش فيه . ومن هذه الملاءمة ضرورة احترامه عملا يكسب منه حتى لا يتحمل هذا المجتمع عبء عيشه . هذا إذا كان رجلا . فإذا كان امرأة فالتربية يجب أيضا أن ننظر إلى مقامها في هذا المجتمع ونهيئها له بأن تكون زوجة وأما . ولكن يجب أن نحذر القول بأن غاية التربية للرجل أن يعترف عملا أو غاية للمرأة أن تصير زوجة وأما . لأن التربية — كما قلنا — مثل الصحة يجب أن تطلب لذاتها قبل كل شيء .

فكيف إذن نربي المرأة ؟

ما دمتنا قد قلنا إن مقامها في المجتمع هو البيت لكي تكون زوجة وأما فالتربية يجب أن ننظر إلى هذا المقام وأثره . فقد ثبت أن الأطفال يحصلون على النزعات الأخلاقية والتوجيهات الاجتماعية والعقائد الدينية والشعائر القومية من البيت قبل أن يكتسبوا من أعمارهم ست سنوات وهم في هذه المدة لا يعرفون أحدا مقدار معرفتهم لأهمهم . وهم يتعلمون منها أسلوب الحياة الذي سيتخذون في المستقبل . ومن المألوف بين العامة قولهم وقت النشأة " أنت تربية

امرأة“ ولكن الحقيقة التي لا يمكن أن تناقض أننا كلنا هذا الرجل . لأن الأب لا يربي ابنه في السنوات الأولى من عمره، والأم هي المسئولة عن ذلك . فإذا كان بالأبناء ميزات أو عيوب في الأخلاق فإلى الأم يرجع الفضل أو النقص . ونحن نعرف الطفل المدلل ولكنا نجهل أن الرجل قد يكون أحيانا مددلا يكره الصعوبات ويتحاشى الإقدام ويخشى المستقبل ، وأن حاله هذه إنما ترجع إلى طفولة سيئة قضاهها مع أم جاهلة قد دلته وطبعت في نفسه هذا الأسلوب . لأن البيت هو المجتمع الصغير الذي يبنى عليه الطفل آراءه وعقائده عن المجتمع الكبير . فما تعلمه في هذا المجتمع الأول قد انعرس في نفسه عادة ثابتة لن تتبدل في المستقبل إلا بعد مجهود عظيم قل من ينجح في بذله . ولذلك يجب أن يكون نصب أعيننا على الدوام أن البيت ليس هو “المدرسة الأولى“ بل هو المجتمع الأول وهو أكبر من المدرسة، وعلى قرار هذا البيت سيكون المجتمع الأكبر أى مجتمع الأمة . فإذا وجدت به عقبا وكرهه للتطور والتقدم فارجع النظر إلى مجتمع البيت وابحث فيه عن الأسباب والعلل

ومن هنا قيمة التربية والتعليم للمرأة . فإنها رئيسة هذا البيت الفعلية ، وهي التي تخرج لنا منه المبقرين أو المحرمين . فالمرأة التي تعيش في بيت نظيف مرتب الأثاث خال من الضوضاء يسوده الجدد في غير صرامة ، والفكاهة في غير تبذل ، والتي تأكل أمام أولادها كما يأكل المتمدنون وتعامل الخدم بالرفق والعطف يتعلم ابنها هذا الأسلوب في المعيشة ، وينشأ عليه ويعامل به مجتمع الأمة، ولا يجدد في التزامه صعوبة لأنه لم يعرف غيره . وهو ينجح في هذا المجتمع لأنه يحبه ويتعاون معه كما كان يجب أمه ويتعاون معها .

فأول ما يجب في تربية المرأة أن نعلمها كيف تكون أما تربي الجيل الجديد الذي تنبئ الأمة منه . وهذه التربية شاقة لأنها ليست تعليما مؤلفا من مواد يمكن درسها وعقد الاختبارات عنها . لأن الوسيلة لتربية هذا الجيل هي القدوة . فإذا شئنا أن نعلم الصبي كيف يكون مستقلا مبتكرا فوسيلة ذلك أن يرى هذه الصورة في أمه . ولكن أمه يجب أن تكون قد تعلمت هذه الأخلاق في البيت . ومن هنا يرى القارئ صعوبة التربية النسوية في مصر . لأننا في الوقت الذي نعرف فيه أن البيت هو الأساس لتربية الأخلاق نضطر إلى الرجوع إلى المدرسة لكي نحصل على هذه التربية . وكل ما نستطيعه عندئذ أن ننصح بأن تكون هذه المدرسة بيتا أو كالبيت تعلم فيه الأخلاق بالممارسة . وهذا بالطبع إلى جنب التعليم الخاص بكل ما يتصل بالأمومة .

ولكن المرأة ليست أما فقط إذ هي زوجة . وهي في مصر تعاني هموما وتكبد زوجها هموما أخرى . وهي ظالمة ومظلومة معا . إذ هي لا تعرف لماذا ينثر منها زوجها أحيانا ، وينشد الراحة أو السلوى النفسية مع غيرها من أصدقاء على القهوة أو النادى . وهي لذلك

تغضب منه وقد ثور لهذا الهجران . وهي هنا ظالمة . ولكنها مظلومة أيضا من حيث إنها لم تحصل على قسط من الثقافة والتدريب الاجتماعي كذلك القسط الذي حصل عليه زوجها فهي ليست زميلته ، وهو لا يأنس إلى حديثها ، وأحيانا تنفجر الهوة حتى تقتصر العلاقة بينهما على الضرورات الفسيولوجية وعندئذ يعود البيت كأنه فندق أو مطعم .

فيجب — بعد الأمومة — أن نعلم المرأة لكي تكون زوجة ، وأعظم ما يهيئها لذلك أن تستوى في درجة الثقافة مع زوجها أو تقاربه . ولذلك يجب ألا يختلف تعليم الفتاة من تعليم الشاب . وإذا كان هناك اختلاف فإنه يجب أن يخصص في توجيه الشاب إلى احسان عمل يحترفه في المستقبل لكي يكسب منه ، وفي توجيه الفتاة لكي تكون أما ، عليها تدريب أبنائها — بالقدوة — على الحياة الطيبة .

ويقول الأمريكيون هنا باستقراءاتهم عن السعادة الزوجية بين ألوف العائلات إن المرأة التي احترفت عملا قبل الزواج ألقى للزواج من التي لم تحترف . وقد يكون هذا معقولا في المجتمع الأمريكي ولكنه بالطبع بعيد عن أحوالنا الاجتماعية الحاضرة .

لقد قلنا في أول هذا المقال إن التربية يجب أن تطلب لذاتها كما تطلب الصحة . لأننا نتق بالتربية الجهل كما نتق بالصحة المرض . ولذلك يجب أن نؤكد هنا القول بأن تربية المرأة يجب ألا تكون غايتها الأولى الأمومة والزوجية بل يجب أن تربي المرأة ، لأنها إنسان قبل كل شيء ، أي إنسان له شخصيته ويجب أن يكون ذهنه مستنيرا متطلعا راقيا ينمو ويطرد رقيه ونموه .

من وصايا الإمام علي لأحد عماله

لا يكون المحسن والمسيء عندك بمنزلة سواء ، فإن في ذلك تهيدا لأهل الاحسان في الإحسان ، وتدريباً لأهل الاساءة على الاساءة . وألزم كلا منهم ما ألزم نفسه . وأعلم أنه ليس شيء أدمى إلى حسن ظن الراعي برعيته من إحسانه إليهم ، وتخفيفه المؤونات عليهم . فليكن منك في ذلك أمر يجتمع لك به حسن الظن برعيته ، فإن حسن الظن يقطع عنك نصبا طويلا ، وإن أحق من حسن ظنك به لمن حسن بلاؤك عنده . وإن أحق من ساء ظنك به لمن ساء بلاؤك عنده ، ولا تنقض سنة صالحة عمل بها صدور هذه الأمة واجتمعت بها الألفة وصلحت عليها الرعية .